هواء قديم

محمد سليمان

لم أَبْنِ هذه المدينه
لم أعطها صوتي
ولا فَصيلةَ الدم التي تَخُصُّني
ولم تهبني إلاَّ صورةَ الأسيرِ.
من حَقِّي
أن آخُذَ الطيورَ من سمائها إذاً
وأن أدورَ كالملاكِ حولها
مُسَلّحاً ببلْطتي!

- ٢ -

مَليحُ ليستْ شجره
مليح ليست مِدْخنه
فَتِّشوا أرجوكم
ليست في القُفَّةِ وليستْ على الجدار
فتِّشوا أرجوكم
بين الماء والماء تلٌّ من الحصى
بين الحدِّ والحدِّ ثقبٌ
بحجم بَقَرَهْ.

- ٣ -

هنا
لأزَيِّن المقهى
هنا
لأعِدَّ القطنَ والشاشَ الخيوطَ والإبَرَ
المصْلَ
المنوِّمَ
وصَبْغَةَ اليودْ
هنا..
حتى يعرِفَ الذاهبون إلى الحربِ
انّهم ذاهبون إلى الحربِ
ويكفّ المسالمون عن ارتداء ملابس الجنودْ.

- ٤ -

اللّغة مخبأٌ والوطن زنزانه
لم أقل شيئاً..
وأنتَ لم تسمعْ
إن سئلتَ قُلْ لا أعرف
ومن ناحيتي سأحفظ السِّرّ
هكذا سنباغِت الشوارعْ
هكذا سَنُجَمِّل الخيانه

- ٥ -

بعلبٍ ملوَّنَه
وبائع يتسلّى بعَدِّ أسنانه
كان عليه أن يشقَّ طريقاً إلى هناك
هو الذي احتفى بقوّة الضعف

وظلّ صامداً كمِقلاة

كان عليه أن يقعد في الدكان عشرين سنه
ليساعِد امرأة بمعقود السُّكّر
وطفلاً على التبوّل خارج السرير
وكان عليه أن يصحب شيخاً
إلى باب بُسْتانِه
وأن يبيع الأسبرينَ حَبّةً حبّه
كي لا يصير كحاملي النعوش.

- ٦ -

الذين أصابعهم كالطيورِ
وسيقانُهم أحصِنَهْ
الذين مع الفجْرِ
مثل ملائكةٍ يَهْرِسون يدي
سوف أضربهم
واحداً
واحداً
ثم أشرب أنْخابَهم
عادة في الظلامِ
وأحبو
إلى لُعَبٍ
في الصباحاتِ يسْتأثرون بها

- ٧ -

كلّما شقَّتِ الريحُ أثوابَه يتلوّى
ويلْتفّ بالبحرِ
يقعد في كوّةٍ لينامَ
له المجدُ
يسْتلّ ضوءاً
وينْسج من شارع جَوْرباً أو حِزاماً
له المجدُ

صار أباً لأبيهِ وطفلاً لهذا الغلام الذي
يُحْسِن العَدَّ حتى الثلاثينَ
يعرف أنّ العصا إن تراخَتْ هَوَتْ
وإنْ بادَرَتْ سَبَقَتْ
ويعرف كيف يشُدّ بلاداً من الحِبْرِ
بِنْتاً من الأرْجوانِ
سيبحث عن هائمين رأوا
ويصُدّ ودودين ذابت ملامحُهم
في الغبارِ
ويهتف: طوبى لمُلْتفّةٍ بالبعيدِ
وطوبى لمنزرعٍ

- ٨ -

لن يُخجِلَهم بلؤلؤ المديحْ.
الذين علّموه المشْيَ
وقيّدوا رجليْه
لن يُحْصيَهم
لأنّهم كثيرون جدّاً
وعاديّون كالحصى
وربما كالريحْ

- ٩ -

لا أحد في البهو
لا أحد في الغرفه
لا أحد في الحَمّامْ
مَنْ هناك إذاً يا محمّد؟
الغبارُ فقط
الغبارُ..
وشعبٌ من الفقاقيع ينصب الخيامْ.

القاهرة